جنح الليل فيكون لكلامه وقع في القلوب ويسمع صوته على مسافة ثلاثة أميال ومكث بجامع إب نحو ثلاثين سنة يعتكف في كل فرض من وقت الأذان الى فراغ الصلاة فلايخرج أثناء ذلك مهمادعت الضرورة)[1] توفي رحمه الله في سنة ٨٢٢هـ .

وكان الليل في ذلك الوقت مسرحا لتلاوة المقرئين وانشاد المنتدين وتسبيح المسبحين وأذان المؤذنين ويشاركهم في ذلك أصوات أهل العبادة والقائمين بالاسحار وجماعة الصوفية فيحيون الليل بأذكارهم وتهليلهم وربما قام أحدهم بالسماع والرقص في جوف الليل (فيفزعون الاطفال ويزعجون النوّام بأصواتهم العالية)[2] حتى أفتى بعض الفقهاء بعدم جواز ذلك وطلب من شيخ بلد (بني سيف) أن يمنع هؤلاء الصوفية من القيام بسماعهم في الليل فأجابه الى ذلك ومكثوا مدة لا يقومون بسماعهم حتى توفي ذلك الفقيه الساعي في اسكاتهم وهو الفقيه عبد الله الكاهلي المتوفى سنة ٨٣٥ فعاد الصوفية الى عادتهم القديمة[3] . وهذا نموذج مما كان يقام في قرية صغيرة من قرى (معشار حصن ريمان الجاح) أمافي مدينة تعز وزبيد وغيرهما من المدن الكبيرة فالحياة مليئة بالاذكار والعبادات وكان الشيخ اسماعيل بن أبي بكر الجبرتي المتوفى سنة ٨٠٦ يقوم بحفلة السماع في مسجده بزبيد طبلة الليل الى أذان الفجر وربما وصلت أصواتهم الى قصر الملك المجاهد فلا يرى بأسا في ذلك[4] .

* * *

(١) المصدر السابق ص ٥٠
(٢) المصدر السابق ص ٣٥
(٣) المصدر السابق ص ٣٥
(٤) المزحاحي : هدية السالك (مخطوط)